Omani – Soviet Relations 1981-1991

Dr. Basima Abdul Aziz Aluthman
University of Mosel – College of Arts – History Department

Abstract

Gulf Cooperation Council was of clear effect on the external policy of Sultanate of Oman, starting from 1981. This was through their focusing on common interests and limiting any dogmatic ideology in their external relations. Accordingly, the Omani - Soviet relations developed positively after long period of disagreement on their policies. The Soviets adopted new policy after the death of their president Leonid Brezhnev 1982 in one hand, and the settle down of Omani –South Yamani relations in 1982 on the other hand, which led to starting the diplomatic relations in 1985 and exchanging ambassadors in 1985, to reach its climate in 1989. They collect their military effort respectively in 1990 to protect the whole region after raising the dilemma between Iraq and Kuwait and the related war in 1990. Oman tried to enhance their relation with Soviet to find certain balance in power. This relationship continued until the breakdown of the Soviet Union on Dec. 1991 and acknowledging Russia as the heir of the Soviet Union.

العلاقات العُمانية السوفيتية ١٩٨١ – ١٩٩١

د. باسمة عبد العزيز العثمان
جامعة الموصل / كلية الآداب

الملخص:

تأثرت السياسة الخارجية لسلطنة عُمان بتأسيس مجلس التعاون الخليجي في آيار ١٩٨١ من خلال التركيز على المصالح المشتركة وعدم إضفاء صفة أيدلوجية عقائدية على علاقاتها الخارجية، من هذا المنطلق بدأت مرحلة الانفراج في العلاقات العُمانية–السوفيتية بعد مدة من القطيعة بين الدولتين نتيجة لسياسات كلتا الدولتين التي حالت دون تقريب وجهات النظر، إلا أنه ومع تبني سياسات جديدة بعد وفاة الرئيس السوفيتي ليونيد بريجينيف عام ١٩٨٢واستقرار العلاقات بين السلطنة واليمن الجنوبي في آب ١٩٨٢، تكللت المباحثات بقيام علاقات دبلوماسية بين الدولتين في أيلول ١٩٨٥ و تبادل السفراء في آيار ١٩٨٦ لتدخل العلاقات مرحلة متقدمة عام ١٩٨٩ من المشاورات و الزيارات المتبادلة لتتكلل بعد ذلك عام ١٩٩٠ بتوحيد الجهود لمحاولة انقاذ المنطقة من تداعيات أزمة الخليج الثانية بين العراق والكويت في آب ١٩٩٠، و التي على أثرها أخذت سلطنة عُمان تنظر إلى تعزيز الوجود العسكري السوفيتي في الخليج العربي لإيجاد نوع من التوازن في القوى . استمرت العلاقات بين الدولتين من خلال تبادل الوفود وعقد الصفقات و الاستثمارات حتى إعلان تفكك الاتحاد السوفيتي في كانون الأول ١٩٩١ و اعتراف سلطنة عُمان بروسيا الاتحادية كدولة وريثة للاتحاد السوفيتي .

المقدمة:

لم تكن لسلطنة عُمان علاقات مع الإتحاد السوفيتي بحكم تحالف عُمان مع الغرب ولاسيما بريطانيا التي كانت تدير شؤون عُمان عبر مستشاريها السياسيين والإقتصاديين، ومع تولي السلطان قابوس بن سعيد السلطة في عُمان في تموز ١٩٧٠ كان الإتحاد السوفيتي يأمل بتهيئة الأجواء لإقامة نوع من العلاقات السياسية بين البلدين، إلّا إن هذا لم يحدث لقناعة عُمان آنذاك بالدور الكبير للإتحاد السوفيتي في دعم فصائل المعارضة العُمانية التي كانت تقود القتال ضد سلطة الدولة في ظفار للمدة من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥، من خلال تزويدها بالأسلحة والمعدات والخبرات العسكرية والإعلامية، ودوره أيضاً في دعم الأنظمة اليسارية في المنطقة آنذاك وبصفة خاصة اليمن الجنوبي التي كانت تتدخل في شؤون عُمان الداخلية بل أنها كانت تعد الظهير القوي لفصائل المعارضة العُمانية. وعلى الرغم من القضاء على المعارضة العُمانية عام ١٩٧٥، إلّا أن موقف عُمان المعارض لإقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ظل قائماً وخاصة بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ وما ترتب عليه من آثار سلبية على المنطقة ، ولم تعتقد عُمان بضرورة إقامة تلك العلاقات إلا بعد المحاولات الحثيثة لبعض دول الخليج لتقريب وجهات النظر بينها وبين اليمن الجنوبي.

في هذه الدراسة تم إستعراض العلاقات العُمانية السوفيتية منذ ١٩٨١ ولغاية ١٩٩١ من خلال التركيز على ثلاثة محاور وهي: الأول وركّز على الأحداث الممهدة لتلك العلاقات للمدة من ١٩٨١إلى ١٩٨٣ والثاني كان حول الشروع بتلك العلاقات والموقفين الخليجي والدولي منها خلال المدة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٦، أما قيام تلك العلاقات وتطورها فقد تم إستعراضه في المحور الثالث وللمدة من ١٩٨٦ إلى ١٩٩١. وقد ختمت هذه الدراسة بذكر بعض الإستنتاجات التي وضعت في الخاتمة .

الأحداث الممهدة للعلاقات العُمانية السوفيتية ١٩٨١- ١٩٨٣ :

لقد أضفى تشكيل مجلس التعاون الخليجي[١] في أيار ١٩٨١ على أعضائه اتجاهات عامة مشتركة في مجال السياسة الخارجية ، إلا أنه في الوقت نفسه أوجد درجات متفاوتة فيما يتعلق بعلاقات هذه الدول وموقفها من الاعتراف وتبادل العلاقات مع الدول الشيوعية بشكل عام ومع الاتحاد السوفيتي بشكل خاص ، كما تأثر موقفها بمدى تهديد الشيوعية للمنطقة، مع اتفاقها على ضرورة إبعاد الخليج العربي عن الصراعات الدولية ، وإعلانه منطقة سلام واحترام حق شعوبه في عدم التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية[٢].

لقد تأثرت سياسة عُمان الخارجية بتشكيل مجلس التعاون الخليجي، وظهر تركيز كبير على هذا المجلس والعمل من خلاله[٣]، فوضعت عُمان في تقرير سياستها الخارجية بعض الأسس والمبادئ ، منها عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى ، والتعاون المشترك وبناء العلاقات على مبدأ المصالح المشتركة، كما أنها نظرت إلى الأمور بمنظار يتفق مع سيادتها وموقعها الاستراتيجي[٤]، لاسيما أنها قد طرحت مسألة إقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي أثناء إنشاء مجلس التعاون الخليجي[٥].

من هذا المنطلق فإن موقف سلطنة عُمان من الاتحاد السوفيتي وقناعتها وخبرتها في التعامل المرتبط بنشاط الاتحاد السوفيتي في منطقة الخليج العربي قد أدى بها إلى اعتبار الخطر السوفيتي هو المصدر الأول لتهديد الأمن في الخليج العربي[٦]، لا سيما أن الاتحاد السوفيتي بدأ يتبنى موقف المواجهة مع المصالح الأمريكية في الخليج العربي ، وذلك بعد الثورة الإيرانية والتدخل السوفيتي في أفغانستان والحرب العراقية الإيرانية ، وقد تمثل ذلك في وجوده البحري في المياه الإقليمية القريبة من الخليج العربي بقطع بحرية متقدمة قادرة على تهديد الوجود الأمريكي في المنطقة[٧].

لقد أوضح وزير الدولة العُماني للشؤون الخارجية يوسف بن علوي عبد الله[٨]، أن لبلاده بعض الاعتراضات على إقامة علاقات من أي نوع مع الاتحاد السوفيتي، لأنه يتدخل بحسب رأيه في شؤون عُمان الداخلية ، مؤكداً أن الأضرار التي لحقها الاتحاد السوفيتي بالمنطقة أكثر بكثير من نفعه ، وأنه لا يملك شيئاً يمكن أن يقدمه لعُمان ولدول مجلس التعاون الخليجي[٩]. كما ازدادت مخاوف عُمان من محاولة الاتحاد السوفيتي فرض وجوده في الخليج العربي وبالتحديد حول مضيق هرمز الذي تمر من خلاله النسبة الكبيرة من مصادر الطاقة العالمية يومياً، خاصة بعد عقد حلف عدن الدائم بين ليبيا وأثيوبيا واليمن الجنوبي المؤيد للاتحاد السوفيتي في آب ١٩٨١[١٠]. أثناء هذه المدة اتسم موقف الاتحاد السوفيتي بالتذبذب تجاه السياسة العُمانية، فتارة تصرح موسكو لصالح الحكومة العُمانية ، وتارة أخرى تنتقدها وتنتقد سياسة السلطان قابوس في المنطقة[١١]، الذي كان رده على هذا الموقف بتصريحه إلى جريدة الديلي تلغراف اللندنية في شباط ١٩٨٢ منتقداً سياسة موسكو في أفغانستان قائلاً "إن السوفيت ليسوا في أفغانستان لنصرة الرئيس الأفغاني بابرك كارمن وإنما لتحقيق أهدافهم التوسعية في المنطقة"[١٢].

إلا أن تغيراً إيجابياً في وجهة نظر موسكو تجاه سلطنة عُمان حدث بعد استقرار العلاقات بين السلطنة واليمن الجنوبي في آب ١٩٨٢[١٣]، فبدلاً من الانتقادات وإدانة عُمان نتيجة لمناوراتها العسكرية المشتركة مع الولايات المتحدة والقوى الغربية في مياه الخليج العربي وجهت موسكو اتهاماتها إلى واشنطن، معتبرة أن السلطنة هي ضحية التوسع الأمريكي، كما وجهت اللوم إلى مسؤولي الحكومة العُمانية بمن فيهم يوسف بن علوي عبد الله بدلاً من توجيهها لشخص السلطان قابوس[١٤].

من هذا المنطلق أعادت كل من سلطنة عُمان والاتحاد السوفيتي تقييم سياستهما أحدهما تجاه الآخر، وسواءاً أكان هذا التقييم مدروساً أم لا لكلا الطرفين،

فإن السلطان قابوس من جانبه استمر بإظهار الخطر السوفيتي بأنه مكمن التهديد للمنطقة[١٥]. إلا أن وفاة الرئيس السوفيتي ليونيد بريجينيف[١٦] (Leonid Brezhnev) في تشرين الثاني ١٩٨٢ كان فرصة مناسبة للاتحاد السوفيتي من وجهة نظر سلطنة عُمان لتغيير سياسته تجاه السلطنة فكان تصريح يوسف بن علوي "إن الفرصة مناسبة للإتحاد السوفيتي في تغيير السياسات الفاشلة التي كان يتبعها، وأنه يأمل بتبني سياسة أكثر إيجابية من جانب القيادة السوفيتية الجديدة تجاه عُمان، حتى في حالة رفض المسؤولين العُمانيين إقامة وإنشاء الروابط الدبلوماسية في الوقت الذي لم تكن هناك روابط وعلاقات دبلوماسية محتملة، لأن السلطنة لم تكن مستعدة على استدامة العلاقات مع السلطة التي طالما تدخلت كثيرا في شؤونها الداخلية" إلا أن علوي رأى من ناحية أخرى "إن العلاقات الجيدة يمكن أن تنشأ مع الاتحاد السوفيتي في حال تعهده بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجي"[١٧].

على الرغم من أن السلطان قابوس لم يكن يضفي صفة أيدلوجية عقائدية على العلاقات الدولية، وعلى الرغم من تميز تلك المرحلة بتبادل التهم بين الطرفين ، إلا أنه في سياسته الخارجية كان يحاول دائماً إيجاد نقاط التماس ويحقق أحياناً من خلالها تقدماً ملحوظاً لسياسة بلاده الخارجية نحو الأفضل[١٨]. وقد ساعد على ذلك تغير القيادة السوفيتية بوصول يوري أندروبوف[١٩] (Yurii Andropov) إلى السلطة في الكرملن حيث فتحت آفاقاً جديدة للعلاقات بين عُمان والاتحاد السوفيتي[٢٠].

العلاقات الدبلوماسية العمانية-السوفيتية والموقفين الخليجي والدولي منها ١٩٨٣-١٩٨٦

لقد جرى أول إتصال جاد بين السلطنة والاتحاد السوفيتي على مستوى رفيع عام ١٩٨٣، بوصول يفجيني بريماكوف (Yevgeny Primakov) الذي كان يشغل

منصب مدير معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية في موسكو مبعوثاً إلى مسقط لتسليم رسالة خاصة من الزعيم السوفيتي يوري أندروبوف إلى السلطان قابوس شخصياً، وأثناء الاجتماع تم من حيث المبدأ الإتفاق على ضرورة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، وعلى إجراء لقاء بين وزيري خارجية البلدين لتوقيع الوثائق المطلوبة بهذا الخصوص[٢١]. وقد أشاد بريماكوف بالدور الفعال للسلطان قابوس في إقامة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والسلطنة موضحاً أن السلطان أكد للوفد السوفيتي الذي زار عُمان بضرورة بناء علاقات جيدة مع الاتحاد السوفيتي، وأن تكتسب العلاقات الصفة الدبلوماسية[٢٢]. ولما كانت حالة وزير الخارجية السوفيتي أندريه كروميكو (Andre Krumiko) الصحية متدهورة آنذاك فقد تأجلت ترتيبات اتفاق مسقط أكثر من مرة ، كما أن وفاة الزعيم السوفيتي يوري أندروبوف في شباط ١٩٨٤ حالت دون ذلك[٢٣].

كان لتولي ميخائيل غورباتشوف[٢٤] (Mikhael Gorbachev) رئاسة الحزب الشيوعي السوفيتي في آذار ١٩٨٥، وتبنيه سياسة جديدة[٢٥] تقوم على أساس التعاون الدولي، وإنهاء الصراع وإقامة علاقات ودية مع جميع دول العالم، والسعي إلى الإعتدال في مواجهة الصراعات الإقليمية، ومحاولة حلها بعيداً عن فرض النفوذ السوفيتي وإعتماد الطرق السلمية[٢٦]، وكذلك تغليب المصالح الإقتصادية على الايدلوجية على وفق مبدأ توازن المصالح، في محاولة للقيام بإعادة بناء الاتحاد السوفيتي عن طريق تقوية اقتصاده، والقيام بإصلاح مؤسساته الحكومية، إلا أنه واجه بعض الصعوبات في تحقيق ذلك بسبب تورطه في أفغانستان، ومع ذلك فقد أدت سياسته هذه إلى تدشين مرحلة جديدة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل عام وسلطنة عُمان بشكل خاص[٢٧].

من جانبها رأت السلطنة أن التوجه السوفيتي الجديد في دعم وتعزيز الإستقرار في شبه الجزيرة العربية لا يمكن تجاهله وإهماله، وأن الوقت ملائم لإقامة وإنشاء علاقات دبلوماسية مع موسكو[٢٨]، حتى أن استجابة كلا الطرفين كانت إيجابية، فعندما عين أدوارد شيفردنادزة[٢٩] (Eduard Shevardnadze) وزيراً للخارجية بدلاً من كروميكو استطاع أن يحقق انتصاراً دبلوماسياً بإعلانه في ٢٦ أيلول ١٩٨٥ عن الشروع في إقامة علاقات دبلوماسية مع سلطنة عُمان على هامش الدورة الأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، على أثر المحادثات التي جرت بين أدوارد شيفردنادزة ونظيره العُماني يوسف بن علوي[٣٠]، وقد علقت وكالة الأنباء السوفيتية (تاس) بصدد هذا الموضوع "أن العلاقات مع عُمان أظهرت وأوضحت الخطوة المهمة الأولى على طريق تطوير العلاقات الثنائية بقصد تقوية السلام والأمن العالمي أو الدولي"[٣١].

إن القرار العُماني بشأن أقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي تطلّب من مسقط استطلاع رأي الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الخصوص، فاجتمع يوسف بن علوي مع نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش (١٩٨١- ١٩٨٩) وأطلعه بقرار حكومته، ومن جانبه أكد بوش دعم حكومته للموقف العُماني، كما عبر عن تقديره للدعم العُماني للمصالح الأمريكية في المنطقة[٣٢].

لم يقتصر الأمر على رأي الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار العُماني وإنما تعدّتها إلى وجهات نظر دولية أخرى، فبعض الدول رأت أن استمرار الأوضاع المتوترة بسبب الحرب العراقية الإيرانية التي دخلت عامها الخامس أسهمت باتخاذ عُمان لهذا القرار، من حيث كون موسكو هي الممول الرئيس والأساس للأسلحة العراقية ، والتي لم تعد تتمكن من تجاهل أو إهمال علاقاتها مع الكويت وعُمان ، فيما رأت دول أخرى في تحسن علاقات عُمان مع جبهة تحرير ظفار من حيث قيام العديد من التسويات وإنهاء الخلاف بين الطرفين التي سبقت إعلان ٢٦ أيلول ١٩٨٥ سبباً في اتخاذ عُمان لهذا

الموقف، إلا أن دول أخرى رأت أنه يتوجب عليها القيام بدراسة رؤى وأفكار البلدين لتشكيل وجهات نظرها حول الموضوع(٣٣).

أمّا بريطانيا التي كان لها تأثير كبير في عُمان فقد أبدت حذرها من إقامة سفارة سوفيتية في مسقط من خلال تحذيرها علوي شخصياً بأن السفارة السوفيتية في عُمان يمكن أن تكون غير مرغوب فيها، وأشارت إلى أن وضع سفراء غير مقيمين هو الإجراء الأولي الذي يجب أن يُتخذ لبدء العلاقات بين البلدين(٣٤). وبالتزامن مع ذلك قام نائب وزير الخارجية العُماني سيف بن حمد البطاش بالاجتماع مع الهيئات الدبلوماسية لأعضاء دول مجلس التعاون الخليجي ومندوبي البعثات الأوربية لدى السلطنة لإستطلاع مدى تفهمهم لطبيعة الخطوة التي أقدمت عليها سلطنة عُمان فيما يخص إقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، والتي على أثرها أبدت المملكة العربية السعودية ، على وجه الخصوص ، معارضتها لقرار عُمان في التعامل مع السوفيت(٣٥).

لقد بدت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين عُمان والاتحاد السوفيتي للبعض غير منطقية ، لاسيما أنه في تلك المدة لم يكن بين أعضاء مجلس التعاون الخليجي دولة غير الكويت لها علاقات كاملة مع الاتحاد السوفيتي، إلا أن هذا القرار يعد طبيعياً من وجهة نظر السلطان قابوس الذي جسد رغبته في تطبيق البعد المتساوي في العلاقات بين الكتل المتنافسة على الصعيدين العالمي والإقليمي ، وكان يمثل طموحه في إشراك الدول الكبرى في شؤون المنطقة انعكاساً لفهمه للعلاقات الدولية المعاصرة على أنها علاقات مشاركة وليست علاقات منافسة، ذلك أن ترابط أكبر عدد من البلدان من خلال المصالح المشتركة يعني تقليص رقعة المواجهة بينها(٣٦).

أخذت عُمان بنظر الاعتبار مصالحها في اتخاذها لقراراتها، فقد كان القرار المقنع بالنسبة لعُمان بخصوص تمرد ظفار لا يتطلب فقط اتفاقية أو معاهدة مع عدن

وإنما يتطلب أيضا تعهداً وضماناً من جبهة تحرير ظفار بمنع وتحجيم دعم القوات المناوئة للسلطان قابوس في المستقبل، وعلى الرغم من أن تعهدات ووعود عدن لم يكن مشكوكاً بها بهذا الصدد، إلا أن العهود والتأكيدات السوفيتية قد ضمنت تلك الوعود والتعهدات التي تسمح بالمزيد من المناقشات والمحادثات بين الجانبين العُماني والسوفيتي(٣٧). علاوة على ذلك أكد يوسف بن علوي أن التغير في السياسة السوفيتية كان السبب الرئيس والأساس وراء القرار العُماني، حيث أعلن "أن موقف الاتحاد السوفيتي أظهر التغيير المهم والجدير بالاعتبار في السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة قبل توقيع معاهدة ١٩٨٥ والذي لا يمكن إغفاله وتجاهله، والإعتراف بها كقوة كبرى"، وكان ذلك هو السبب وراء اتخاذ السلطان قابوس قراره بإقامة وإنشاء العلاقات مع موسكو، بحسب رأي علوي وكان للملك الأردني الحسين بن طلال (١٩٥٢- ١٩٩٩) دور كبير في الوساطة بين السلطان قابوس وغورباتشوف(٣٨).

قيام العلاقات الدبلوماسية وتطورها بين البلدين ١٩٨٦- ١٩٩١

اتخذت العلاقات العُمانية السوفيتية شكلها الدبلوماسي في أيار ١٩٨٦ عندما قدّم السفير السوفيتي في الأردن الكسندر ج. زنجوك (Aleksandr J. Zinchuk) أوراق اعتماده إلى السلطان قابوس بوصفه سفيراً غير مقيم للاتحاد السوفيتي لدى عُمان ، وقد أكد في لقائه مع السلطان قابوس جملة من الثوابت المشتركة بين البلدين، من ضمنها توطيد وترسيخ السلام بالنسبة للقضية الفلسطينية ، والتأثيرات الناجمة عن الحرب العراقية الإيرانية ، والمناورات العسكرية في منطقة المحيط الهندي ، ومن جانبه أكد السلطان قابوس أن عُمان ستدعم الموقف السوفيتي للقضايا العربية في الشرق الأوسط، والدعوة لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية ، والبحث عن الحل الحقيقي للمشكلات في المحيط الهندي(٣٩).

كانت أول زيارة لمسؤول سوفييتي إلى عُمان بعد مرور سنة تقريبا من إقامة العلاقات، عندما زار نائب وزير الخارجية السوفييتي فلاديمر بيتروفيسكي (Vladimir Petrovski) (١٩٨٦-١٩٩١) السلطنة في نيسان ١٩٨٧ والتقى السلطان قابوس وتناولت المباحثات مجالات الأمن وحماية منطقة الخليج العربي وبشكل خاص مسألة أمن مضيق هرمز، وأكد بيتروفيسكي تعهدات ووعود الاتحاد السوفييتي باحترام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية ودعم الاستقرار في المنطقة ، إلا أن مخاوف الاتحاد السوفييتي من تأثيرات الثورة الإيرانية على وسط آسيا كانت واضحة على أجواء المباحثات ، وأبدى المبعوث السوفييتي أمله من رؤية نهاية قريبة للحرب العراقية الإيرانية ، وفي ختام الزيارة تم اتفاق الجانبين على فتح سفارات مقيمة في كلا البلدين، وبحلول آب ١٩٨٧ قدِمت اللجنة الدبلوماسية السوفييتية إلى مسقط لإجراء الترتيبات اللازمة لذلك كما تم اعتماد فيكتور بوسوفاك (Viktor Bosovak) سفيراً للاتحاد السوفييتي لدى سلطنة عُمان[٤٠]. من جانبها اعتمدت السلطنة نزار محمد علي الشيخ[٤١] سفيراً لها في الاتحاد السوفييتي، وقد قدم أوراق اعتماده للنائب الأول لوزير الخارجية السوفييتي يولي فوروبنشوف (Yuli Vorobachov) في كانون الأول ١٩٨٧، لتدخل العلاقات بين الدولتين مرحلة جديدة في العمل لتحقيق المصالح المشتركة للشعبين العُماني والروسي على حد سواء[٤٢].

لقد شهدت العلاقات بين البلدين في مرحلتها هذه تطوراً على مدى الاتصالات والزيارات ، إذ زار موسكو رئيس مجلس الشورى العُماني ونائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، كما نظمت زيارة لمفتي سلطنة عُمان إلى جمهورية داغستان التقى خلالها وفداً من مسلمي روسيا الاتحادية واطلع على أوضاعهم[٤٣] كما زار وفد برلماني سوفييتي سلطنة عُمان في نيسان ١٩٨٨ ضم نائب رئيس اللجنة الدائمية العليا في الاتحاد السوفييتي جورجي تارازيفج (Georgi Tarzevich) والسكرتير الأول لهيئة

اتحاد الكتاب في طاجاكستان مومينشو كانوتوف (Mumincho Kanoatov) والمدير العام لوكالة الأنباء الروسية (تاس) سيرجي لوسيف (Sergei Losev) وكان لهم لقاء مع السلطان قابوس ويوسف بن علوي وعضو مجلس الدولة الاستشاري عبد الله الكاتبي ومن خلالها أبدى المسؤولون العُمانيون امتنانهم للقرار السوفييتي بإنهاء الحرب في أفغانستان ، وأشادوا بموقف موسكو من الحرب العراقية الإيرانية من خلال تصويتها على قرار مجلس الأمن المرقم (٥٩٨) الداعي إلى وقف الحرب بين العراق وإيران ، كما رحبت السلطنة بالمقترح السوفييتي الداعي لإيجاد قوة بحرية من الأمم المتحدة لحماية المنطقة ، في الوقت نفسه قام الجانب العُماني باطلاع الوفد السوفييتي على سياسة عُمان تجاه المنطقة وبخاصة تجاه إيران واليمن الجنوبي، وأبدى تخوفه من عدم التزام المجتمع الدولي بالقرار (٥٩٨) واستمرار دعمه العسكري لطرفي النزاع في الحرب العراقية الإيرانية مما يؤدي إلى إطالتها، مؤكداً ضرورة إيجاد حل لهذه الحرب خاصة أن البلدين متجاوران وأن عُمان تحتفظ بعلاقات طبيعية مع كل من بغداد وطهران(٤٤).

دخلت العلاقات العُمانية السوفييتية مرحلة متقدمة عام ١٩٨٩ من حيث قيام اتصالات على مستوى عال وعلى وفق برنامج متكامل ، فقد اجتمع السفير العُماني نزار الشيخ مع نائب وزير الخارجية السوفييتي الكسندر بيسميرتك (Alksandr Bessmertnykh) في آذار لمناقشة القضايا والمسائل الثنائية التي تخص البلدين، يضاف إلى ذلك الأوضاع السائدة في المنطقة ولا سيما الوضع المتدهور في أفغانستان ، كما تم في حزيران من العام نفسه تعيين الكسندر باستيف (Alexander Basteph) سفيراً للاتحاد السوفييتي في سلطنة عُمان بدلا من فيكتور بوسوفاك(٤٥) وفيما يخص زيارات العمل المتبادلة بين الدولتين قام وزير النفط والمعادن العُماني سعيد بن أحمد الشنفري بزيارة للاتحاد السوفيتي للتباحث حول التعاون الاستثماري في مجالي النفط والمعادن(٤٦).

على مستوى أعلى اجتمع الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف في تشرين الأول ١٩٩٠ مع نائب رئيس الوزراء العُماني للشؤون الاقتصادية قيس عبد المنعم الزواوي ، وجري خلال اللقاء التباحث حول مسالة الاعتمادات المالية التي قدمتها عُمان للاتحاد السوفيتي خلال فترة البيريسترويكا (Perestroika)[٤٧]، والتي تقدر قيمتها بـ (٢٠٠) مليون دولار بعد اتصالات بهذا الشأن جرت بين السلطان قابوس وغورباتشوف ، وأعرب غورباتشوف عن امتنانه لجهود عُمان في هذا المجال[٤٨]. كما تضمن اللقاء مناقشة أزمة الخليج الثانية بين العراق والكويت في آب ١٩٩٠ وتداعياتها على الوضع في منطقة الخليج العربي، ومخاوف البلدين من جر المنطقة إلى الحرب، وقلق عُمان من تصاعد أثر هذه الأزمة على دول مجلس التعاون الخليجي، وعبّر غورباتشوف عن ثقته بإمكان تفادي وتجنيب المنطقة هذا الصدام على الرغم من تمرير الأمم المتحدة المزيد من القرارات التي تدين العراق في تلك الأزمة والحصول على إجماع دولي باستعمال القوة ضده ، وبحكم العلاقات القوية بين موسكو وبغداد عبّر غورباتشوف عن ثقته بإمكانية إجراء مباحثات مع بغداد للتخفيف من حدة التوتر، وأنه سيقوم باتخاذ أي إجراء يراه ضروريا وأساسيا من أجل تخفيف قلق عُمان ودول مجلس التعاون الخليجي من الوضع القائم ، إلا أن مباحثات موسكو مع بغداد لم تتوصل إلى نتيجة تذكر، ومع ذلك استمرت مباحثات عُمان مع الاتحاد السوفيتي حيث اجتمع وفد المجلس الاستشاري العُماني مع رئيس مجلس القوميات السوفيتي رافيز نيشانوف (Rafiz Nishanov) لمناقشة السبل الكفيلة لإنهاء هذه الأزمة وقد تزامنت هذه المحادثات مع زيارة يوري أوسباين (Yurii Osipyan) نائب الرئيس السوفيتي إلى مسقط في تشرين الثاني ١٩٩٠ للمشاركة في احتفالات اليوم الوطني للسلطنة وقام بتسليم رسالة من غورباتشوف إلى السلطان قابوس، تضمنت تهاني الرئيس السوفيتي بالمناسبة[٤٩].

على أثر خروج القوات العراقية من الكويت في شباط ١٩٩١ بعد سيطرة قوات التحالف بقيادة أمريكا عليها، باتت سلطنة عُمان تنظر بعين الرضا إلى وجود عسكري سوفيتي في الخليج العربي ، الأمر الذي ألقى الضوء على نهج السلطنة السياسي غير المتحيز، وقد أوضح الوزير العُماني للشؤون الخارجية هذه السياسة في حديثه إلى مراسل وكالة (تاس) السوفيتية في حزيران ١٩٩١ قائلاً "إن استقرار الوضع الدولي يتوقف على الأوضاع في هذه المنطقة وليس لدى سلطنة عُمان مخاوف من الوجود العسكري الأجنبي في منطقة الخليج العربي، فإن مصطلح الوجود العسكري الأجنبي نفسه يعود إلى مفاهيم العالم القديم والى عهد ما قبل التحولات. إن الأقطار العربية المنتجة للنفط لا تزال غير قادرة على حماية ثرواتها من الخطر الخارجي بقواتها الخاصة ، ولذا فهي مضطرة إلى طلب المساعدة من الدول الأخرى ، في ظل النظام العالمي الجديد ، وبذلك يمكن للاتحاد السوفيتي أن يكون بين تلك الدول ويمكن لتشكيلات عسكرية من الاتحاد السوفيتي أن تكون عنصراً من عناصر الوجود العسكري الأجنبي"[٥٠]. على أساس السياسة العُمانية الجديدة جرت مباحثات بين عُمان والاتحاد السوفيتي في ١٥ حزيران ١٩٩١ وجرى الاتفاق من خلالها على تزويد عُمان بناقلات الأشخاص المدرعة نوع (B.T.R. 80) وقد نافست موسكو واشنطن على بيع هذه الصفقة ، وكان الكونغرس الأمريكي على علم بقيمتها البالغة ١٠٠ مليون دولار وقد قدر عددها بـ (١١٩) ناقلة، وتدخل هذه الاتفاقية التسليحية في ضمن سباق التسلح التي شهدتها المنطقة على أثر أزمة الخليج الثانية[٥١]. استمرت المباحثات بين الجانبين العُماني والسوفيتي على وفق التعاون الاقتصادي ففي تموز ١٩٩١ قامت شركة صناعة البسكويت الوطني العُماني بعقد اتفاقية لتصدير منتجاتها إلى الاتحاد السوفيتي، وهناك مباحثات مماثلة كانت مستمرة حتى إعلان تفكك الاتحاد السوفيتي في كانون الأول ١٩٩١ واعتراف سلطنة عُمان بروسيا الاتحادية (بعد أن أعلنت موسكو

اعترافها بالدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي) دولة وريثة للاتحاد السوفيتي المنحل، لتبنى بذلك العلاقات بين الدولتين على أسس جديدة وعلى وفق سياسة جديدة(٥١).

من خلال ما تقدم يمكن القول إن إقامة العلاقات بين موسكو ومسقط أثناء هذه المدة كان بالغ الأهمية خاصة إذا أخذ بنظر الاعتبار طبيعة العلاقات والتطورات التي كانت تشهدها المنطقة آنذاك، مع العلم أن الحرب الباردة لم تكن قد انتهت بعد بين موسكو وواشنطن، ووفقاً لطبيعة السياسة العُمانية الحريصة على تحقيق السلام والاستقرار في المنطقة عبر علاقتها القوية مع أبرز القوى الدولية المؤثرة في العالم، وأيضا من خلال قدرتها الفائقة في الحفاظ على حيادها تجاه الدول وقدرتها على توظيف علاقاتها الإيجابية مع القوى كافة خدمة لمصالحها ومصالح شعوب المنطقة.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

١- في بادئ الأمر كان موقف الاتحاد السوفيتي متذبذباً تجاه السياسة العُمانية مع مخاوف عُمان من محاولة الاتحاد السوفيتي فرض وجوده في الخليج العربي بعد عقد حلف عدن الدائم في آب ١٩٨١ بين ليبيا وأثيوبيا واليمن الجنوبي المؤيد للاتحاد السوفيتي.

٢- لم يكن السلطان قابوس يضفي صفة أيدلوجية ثابتة على علاقاته الدولية وكان يحاول دائماً إيجاد نقاط التماس التي من خلالها يستطيع أن يحقق تقدماً ملموساً لسياسة بلاده الخارجية نحو الأفضل.

٣- إن تغير القيادة السوفيتية بوصول يوري أندريوف إلى السلطة بعد وفاة ليونيد بريجينيف في تشرين الثاني ١٩٨٢ يعد فتحاً لآفاق جديدة في العلاقات بين عُمان والاتحاد السوفيتي.

٤- إن تولي الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف السلطة في آذار ١٩٨٥ وتبنيه سياسة جديدة تقوم على أساس تغليب المصالح الاقتصادية على الايدلوجية في محاولة لإعادة بناء الاتحاد السوفيتي كان لها أثرها في تدشين مرحلة جديدة في العلاقات بين الدولتين.

٥- توصلت سلطنة عُمان إلى قناعة بوجود عسكري سوفيتي في منطقة الخليج العربي كجزء من سياسة توازن القوى على أثر التواجد العسكري الأمريكي المكثف في الخليج العربي بعد أزمة الخليج الثانية عام ١٩٩٠.

٦- تميزت العلاقات العُمانية السوفيتية خلال هذه المدة بمرحلة متميزة استطاعت أن تحقق من خلالها علاقات إيجابية تخدم مصالح الدولتين بغض النظر عن أيدلوجية كل نظام سياسي .

هوامش البحث ومصادره:

١- مجلس التعاون الخليجي: هو المجلس الذي انضوت تحته ست دول خليجية عدا العراق وإيران ، تمت المصادقة على النظام الأساسي للمجلس على هامش مؤتمر القمة الخليجي في أبو ظبي، وقد أعلن عن إقامة المجلس رسمياً في ٢٥ أيار ١٩٨١، ويعتبر اندلاع الحرب العراقية الإيرانية أحد العوامل الأساسية التي أسرعت باتجاه إعلان تأسيسه، للمزيد ينظر: أحمد عبد القادر مخلص، مجلس التعاون لدول الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، ١٩٨٦).

٢- عبد الله الاشعل، العلاقات الدولية في إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، العدد ٢٣٧، السنة ١٠، كانون الثاني ١٩٨٤، ص ٦٨.

٣- سعد أبو ديه، السياسة الخارجية العُمانية في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد ١٩٧٠ – ١٩٩٨، ط١، (المملكة الأردنية، ١٩٩٨)، ص ٦٩.

4- Josep, A. Kechichian, Oman and World, The Emergence of an Independent Foreign Policy, (Santa Monica, 1995), p. 168.

٥- محمد جاسم محمد، النظم السياسية والدستورية في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، (جامعة البصرة، ١٩٨٤)، ص ٢٧٣.

6- Kechichian, op. cit, p. 168.

٧- وليد حمدي الأعظمي، العلاقات السعودية الأمريكية وامن الخليج العربي في وثائق غير منشورة ١٩٦٥ – ١٩٩١، ط١، (لندن، ١٩٩٢)، ص ١٢٠.

٨- يوسف بن علوي عبد الله: درس وعمل أولاً في الكويت وكان أحد قادة الثورة الظفارية وممثل جبهة تحرير ظفار في القاهرة، ثم التقى ولأول مرة مع السطان قابوس بعيد توليه السلطة عام ١٩٧٠ . وعمل سفيراً في بيروت للمدة من ١٩٧٣الغاية ١٩٧٤ وتولى في عام ١٩٨٢منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة السلطان قابوس،
http://en.wikipedia.org/wiki/Yusuf_bin_Alawi_bin_Abdullah

٩- صحيفة الوطن، (الكويت)، ٢١ نيسان ١٩٨٢.

١٠- حلف عدن الدائم: هو اتفاق عقد بين عدد من الدول شملت ليبيا وأثيوبيا واليمن الجنوبي للوقوف بوجه تبعية دول مجلس التعاون الخليجي للغرب في آب ١٩٨١، للمزيد من التفاصيل حول هذا الحلف ينظر:

Michael C. Dunn, "Soviet Interests in the Arabian Peninsula: The Aden Pact and othor paper Tigers" American – Arab Affairs, No. 8. Spring (1984), pp. 28 – 92.

11- - Kechichian, op. cit, p. 166.

12- Ibid, p. 167.

١٣- توسطت دولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة لتقريب وجهات النظر بين سلطنة عُمان واليمن الجنوبي، وتم الاتفاق في الكويت بين الطرفين على عدد من الأمور كانت موضع خلاف، صدر على أثرها إعلان المبادئ في ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٢ لتطبيع العلاقات بين البلدين بعد خمسة عشر عاماً من العداء، أبو ديه، المصدر السابق، ص ٤٩ – ٥٠.

14- Mark, N. Katz, Russia and Arabia: Soviet Foreign Policy toward the Arabian Peninsula, Baltimore and London: The Johns Hopkins University Press, (1986), pp. 117 – 118.

15- Kechichian, op. cit, p. 167.

١٦- ليونيد بريجينيف: ولد في ديسمبر ١٩٠٦، شغل منصب رئيس مجلس السوفيت الأعلى في مرحلتين الأولى من ١٩٦٠ – ١٩٦٤ والثانية من ١٩٧٧ – ١٩٨٢، كما كان الرئيس الفعلي والأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي بين عامي ١٩٦٤ – ١٩٨٢، ترأس الاتحاد السوفيتي كخليفة لخروشوف، توفي في ١٠ نوفمبر ١٩٨٢، ar.wikipedia.org/wiki

١٧- نقلا عن Kechichian, op. cit, p. 168.

١٨- سيرجي بليخانوف، مصلح على العرش قابوس بن سعيد سلطان عُمان، ترجمة خيري الضامن، ط٢، (مسقط ٢٠٠٥)، ص ٢٣٤.

١٩- يوري أندريوف: ولد في تموز ١٩١٤، تولى بعد وفاة بريجينيف في تشرين الثاني ١٩٨٢ قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي وقيادة الدولة، كان ينوي إجراء إصلاحات في الدولة، إلا أن اعتلال صحته حال دون ذلك وأدت إلى وفاته في ٩ شباط ١٩٨٤، ar.wikipedia.org/wiki

20- Kechichian, op. cit, p. 168.

٢١- بليخانوف، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

٢٢- جريدة عُمان، (سلطنة عُمان)، ٣ تشرين الأول ٢٠١٠.

٢٣- بليخانوف، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

٢٤- ميخائيل غورباتشوف: ولد في آذار ١٩٣١، شغل منصب رئيس الدولة في الاتحاد السوفيتي بين عامي ١٩٨٨ – ١٩٩١، ورئيس الحزب الشيوعي السوفيتي بين عامي ١٩٨٥ – ١٩٩١، كان يدعو إلى البريسترويكا بمعنى إعادة البناء، شارك رونالد ريغن

في إنهاء الحرب الباردة، حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٠، ar.wikipedia.org/wiki

٢٥- للمزيد من التفاصيل عن سياسة غورباتشوف ينظر: عمار خالد رمضان الربيعي، غورباتشوف ودوره في السياسة السوفيتية حتى عام ١٩٩١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة، ٢٠١٠).

٢٦- الاعظمي، المصدر السابق، ص ١١٥.

٢٧- لمى خضر الإمارة، التغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة ١٩٩٠ – ٢٠٠٣، ط١، (دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥)، ص ١٤٥.

٢٨- أحمد أبو الحسن زرد، العلاقات العُمانية السوفيتية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٣، كانون الثاني ١٩٨٦، ص ١٦٠ – ١٦٢.

٢٩- أدوارد شيفرنادزه: ولد في ٢٥ تموز ١٩٢٨، كان وزير خارجية في عهد غورباتشوف من عام ١٩٨٥ ولغاية عام ١٩٩٠، أصبح رئيساً لجورجيا عام ١٩٩٥ حتى استقالته في ٢٣ أيلول ٢٠٠٣ نتيجة لثورة الزهور، مهارته السياسية أكسبته لقب الثعلب الأبيض، ar.wikipedia.org/wiki

٣٠- بليخانوف، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ الامارة، المصدر السابق، ص ١٤٥.

٣١- نقلا عن Kechichian, op. cit, p. 170.

32- Ibid, p. 170.

33- Philip Shihadi, Oman's Diplomatic Ties with Moscow Linked to South Yemen, (USA) 1985, p. 25.

34- Kechichian, op. cit, p. 170.

35- Allen, Calvin, H. Gr, Oman Modernization of the Sultanate, (London, 1987), p. 170.

٣٦- بليخانوف، المصدر السابق، ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

37- Kechichian, op. cit, p. 171.

38. Ibid, pp. 170 – 171.

39- Ibid, pp. 171 – 172.

40- Ibid, p. 172.

٤١- نزار محمد علي الشيخ: هو أول سفير عُماني مقيم في موسكو، أكمل دراسته في كلية الحقوق بجامعة لينينغراد في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٩، شغل منصب السفير لمدة ثلاث سنوات، في أوائل التسعينات نقل من موسكو إلى وزارة الخارجية العُمانية،

www.ru4arab.ru/ru/cp/ena.

42- www.a17ot.com

43- www.ry4arab.ru/cp.eng.

44- Kechichian, op. cit, p. 172.

45- Ibid, p. 173.

46- Arabic.rt.com/news

٤٧- بيريسترويكا: تعني "إعادة البناء" هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس الاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف، ويشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي، صاحبت البيريسترويكا سياسة غلاسنوست التي تعني الشفافية، وقد أدت السياستان معا إلى انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه سنة ١٩٩٠،

Ar.wikipedia.org/wiki

٤٨- مقابلة مع السلطان قابوس في ١٨ كانون الثاني ١٩٩٣، نقلا عن:

Kechichian, op. cit, p. 173.

49- Ibid, p. 174.

٥٠- نقلاً عن بليخانوف، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

51- Philip Finnegan, Russia Extends Mideast Arms Sales Hunt, Defense News, 15 June, 1992, pp. 1 – 37.

52- Middle East Economic Digest, 12 July, 1991, p. 24.